بسم الله الرحمن الرحيم

تقدمة وإرشاد

المسجد قلب المجتمع الإسلامى ، وملتقى المؤمنين بالغدو والآصال ، لأداء حقوق الله ، واستلهام الرشد واستمداد العون منه جل شأنه .

وهو مصدر طاقة روحية وفكرية بعيدة المدى ، خصوصاً أيام الجمع ، عندما تنصت جماهير المصلين فى سكينة وخشوع «للإمام» وهو يشرح لهم تعاليم الإسلام ، ويبين لهم حدود الله ، ويقفهم على ما فى الكتاب والسنّة من عظات وآداب .

إن خطبة الجمعة من شعائر الإسلام الكبرى ، ومعانيها تنساب إلى النفوس فى لحظات انعطاف إلى الله وتقبل لوصاياه . . .

ومن ثم كان موضوعها جليل الأثر كبير الخطر . . .

والإمام الذى يدرس موضوعه ، ويجيد عرضه ، يقوم بنصيب كبير فى تثقيف الأمة ، وترشيد نهضتها ، ودعم كيانها المادى والأدبى ، ووصل غدها المأمول بماضيها المجيد .

ولما كنا نريد الوصول بمستوى الخطابة فى المساجد إلى مكانته اللائقة به ، ونريد جعل المنبر مرآة لما حوى الإسلام من معرفة صالحة ، وتربية واعية ، فقد أثبتنا هذه التوجيهات الموجزة لما يجب أن يتوافر فى خطبة الجمعة من زاد روحى وثقافى منظم :

١ - يحسن أن يكون للخطبة موضوع واحد واضح ، غير متشعب الأطراف ، ولا متعدد القضايا ، فإن الخطيب الذى يخوض فى أحاديث

كثيرة يشتت الأذهان ، وينتقل بالسامعين فى أودية تتخللها فجوات نفسية وفكرية بعيدة ، ومهما كانت عبارته بليغة ، ومهما كان مسترسلا متدفقاً فإنه لن ينجح فى تكوين صورة عقلية واضحة الملامح لتعاليم الإسلام . . .

والوضوح أساس لا بد منه فى التربية ، والتعميم والغموض لا ينتهيان بشيء ذى طائل ، وخطبة الجمعة ليست درساً نظريًّا بقدر ما هى حقيقة تشرح وتغرس . . .

٢ ـ عناصر الخطبة يجب أن يسلم أحدها إلى الآخر فى تسلسل منطقى مقبول ، كما تسلم درجة السلم إلى ما بعدها دون عناء ، بحيث إذا انتهى الخطيب من إلقاء كلمته كان السامعون قد وصلوا معه إلى النتيجة التى يريد بلوغها ، وعليه أن ينتقى من النصوص والآثار ما يمهد طريقه إلى هذه الغاية .

٣ ـ لما كانت الخطبة الدينية تنسج من المعانى الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنّة وآثار السلف الصالح ، فإن لحمتها وسداها يجب أن يكونا من الحقائق المقبولة ، وفى آيات القرآن الكريم ومعالم السنَّة المطهرة متسع يغنى فى الوعظ والإرشاد . ولذلك لا يليق بتة أن تتضمن الخطبة الأخبار الواهية ، بله الموضوعة .

وإذا كان العلماء قد تجوزوا فى الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة فى فضائل الأعمال . فقد اشترطوا لذلك ألا تخالف قواعد الإسلام الكلية ولا أصوله العامة . وفى الأحاديث الصحيحة والحسنة مجال رحب للخطيب الفاقه . وفى سيرة الرسول صلَّى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والأئمة المتبوعين ما يغنى عن الأساطير والأوهام .

٤ ـ لا يجوز أن تتعرض الخطبة للأمور الخلافية ، ولا أن تكون تعصباً لوجهة نظر إسلامية محدودة ، فإن المسجد يجمع ولا يفرق ، ويلم شمل

الأُمة بشعب الإيمان التى يلتقى عندها الكل دون خوض فى المسائل التى يتفاوت تقديرها . وما أكثر العزائم والفضائل التى تصلح موضوعاً لنصائح جيدة ، وخطب موفقة .

وقد شقى المسلمون بالفرقة أياماً طويلة ، وجدير بهم أن يجدوا فى المساجد ما يوحد الصفوف ، ويطفئ الخصومات .

٥ ـ بين الخطبة والأحداث العابرة ، والملابسات المحيطة ، والجماهير السامعة ، علاقة لا يمكن تجاهلها . ومما يزرى بالخطيب ويضيع موعظته أن يكون فى واد ، والناس فى واد آخر . ولأمر مّا نزل القرآن منجماً على ثلاث وعشرين سنة ، فقد تجاوب مع الأحداث ، وأصاب مواقع التوجيه إصابة رائعة . . .

ولما كان القرآن شفاءً للعلل الاجتماعية الشائعة ، فإن الخطيب يجب عليه أن يشخص الداء الذى يواجهه ، وأن يتعرف على حقيقته بدقة . فإذا عرفه ، واستبان أعراضه وأخطاره ، رجع إلى الكتاب والسنة فنقل الدواء إلى موضع المرض . وذلك يحتاج إلى بصيرة وحذق . فإن الواعظ قد يجىء بدواء غير مناسب فلا يوفق فى علاج . . . أو ربما أخطأ ابتداءً فى تحديد العلة فجاءت خطبته لغواً وإن كانت تتضمن مختلف النصوص الصحيحة .

٦ ـ هناك طائفة من الأحاديث تسوق الأجزية الكبيرة على الأعمال الصغيرة ، وقد قرر العلماء المحققون أن هذه الأحاديث ليست على ما يفهم منها لأول وهلة . . . وأن ما فيها من أجزية ضخمة إنما هو لأهل الشرف فى العبادة وأهل الصدق فى الإقبال على الله . . . وليس ذلك للأعمال الصغيرة التى اقترنت بها . . .

ومن هنا لا يجوز للخطيب أن يضمّن خطبته هذه الأحاديث سردًا مجردًا ، فيحدث فوضى ، فى ميدان التكاليف الشرعية ، ولكن إذا قضى ظرف بذكر هذه الأحاديث ذكرها مع شروحها الصحيحة .

٧ ـ تقوم التربية الدينية على بيـــان الجوانب الخلقية والاجتماعية فى الإسلام ، وشرح ما يقترن بالخير والشر من معان حسنة أو سيئة ، ومن عواقب حميدة أو ذميمة . ولا بأس من التعريج على الأجزية الأخروية ، وعرض ما أعده الله فى الآخرة للأبرار والفجّار ، بيد أن الإسهاب والتفصيل فى ذكر الأجزية المغيبة لا لزوم له ، ويكتفى بالإلماع إلى ما جاء فى القرآن والسنة عن ذلك ، دون تطويل وتعمق .

٨ ـ من الخير أن تتضمن خطبة الجمعة أحياناً شيئاً من أمجاد المسلمين الأولين الثقافية والسياسية ، وتنويهاً بالحضارة اليانعة التى أقامها الإسلام فى العالم ، مع الإشارة إلى أن ينابيع هذه الحضارة تفجرت من الحركة العقلية التى أحدثها القرآن الكريم ، واليقظة الإنسانية التى صنعها الرسول صلى الله عليه وسلم . ويكون الغرض من هذه الخطب ـ على اختـــلاف موضوعاتها ـ أن ترجع إلى المسلمين ثقتهم بأنفسهم ، ورسالتهم العالمية . .

٩ ـ هناك من الفلسفات الأجنبية والنزعات الإلحادية ما تسرب إلى الأمة الإسلامية فى كبوتها التاريخية الماضية . وطبيعى أن تتعرض خطبة الجمعة لذود هذه المفاسد النفسية عن أبناء الأمة . . ووظيفة الخطبة عندئذ أن تتجنب الأخذ والرد والجدال السيئ ، ولكن تعرض الحقائق الإيجابية فى الإسلام بقوة ، وترد على الشبهات دون عناية بذكر مصدرها . لأن المهم هو حماية التراث الروحى والعلمى . . . . وليس المهم تجريح الآخرين ، وإلحاق الهزائم بهم . . . .

١٠ – البلاغة فى الإيجاز ، ومن براعة الخطيب أن يلم بأطراف موضوعه ، ويحسن استيعاب حقائقه فى وقت قصير ، وعبارة محدودة .

ولقد لوحظ أن التطويل فى الخطابة يرجع غالباً إلى إفلات زمام الموضوع من الخطيب ، وعجزه عن الوصول إلى موقف يستقر فيه ، وتنتهى المعانى عنده .

وقد يضطره هذا إلى التكرار واللجاجة والإملال ، فيضيع جهده سدى ، وينفّر الناس من حيث يريد تأليفهم . . .

ونرى أن عشرين دقيقة تكفى كفاية تامة لإلقاء خطبتى الجمعة كلتيهما ، والتهيؤ للصلاة ، ومن السنن المقررة أن تكون الخطبة قصيرة .

١١ – الموضوعات التى تناولها هذا الكتاب شرحت كلها فى الخطبة الأولى ، ومن ثم فإن الخطبة الثانية لا مجال فيها لجديد يضاف ، ونرى الاكتفاء فيها بالديباجة التى تتضمن الثناء على الله ، ثم الدعاء المطلوب للمؤمنين والمؤمنات .

ويكفى فى الديباجة مثلا أن تكون على هذا النحو : الحمد لله موفق العاملين ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله ولى المتقين ، وأشهد أن محمدًا رسول الله الصادق الأمين ، اللّهم صل على سيدنا محمد وآله وأصحابه والتابعين .

ونختار صيغ الدعاء الآتية :

اللّهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر . . . .

اللّهم إنا نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والعصمة من كل ذنب ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، لاتدع لنا ذنباً

إلاَّ غفرته ، ولا همًّا إلاَّ فرجته ، ولا حاجة هى لك رضاً إلاَّ قضيتها ويسرتها يا أرحم الراحمين .

(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين) .

يتلوها الخطيب أو يتلو منها ما يشاء .

١٢ ـ ولا بأس من الدعاء بالتوفيق والرشد لحكام المسلمين ، فقد قال الحسن البصرى : لو كانت لى دعوة مستجابة لوهبتها للسلطان ، فإن الله يصلح بصلاحه خلقاً كثيرين .

اللَّهم وفق ولاة الأُمور إلى ما فيه خير البلاد والعباد .

وجميل أن تختم الخطبة بالآية المألوفة : (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى . وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) .